مسابقة شاعر / أديب النيل والفرات
الـــدورة الـثـانـيــة - مارس 2018
الكتاب الحائز على اللقب والمركز الأول م
فرع القصة القصيرة



نهى يسرى

بنـدورا

أقصوصة فى لوحات وقصص أخرى

الطبعة الأولى أبريل - 2018

بطاقة الكتاب

عنوان المؤَلَّف : بندورا

المؤلِّف : نـهى يسرى

التصنيف : أقصوصة فى لوحات وقصص أخرى

عدد الصفحات : 88 صفحة

رقم الإصدار الداخلي:198

تاريخ الإصدار الداخلي: أبريل 2018 (الطبعة الأولى)

تصميم الغلاف و التنسيق: دار النيل و الفرات للنشر و التوزيع



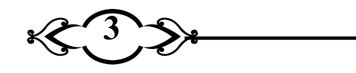
بـــنـــدورا

أقصوصة في لوحات

وقصص أخرى

تحكيها

نهى يسري



إطلالة جديدة .. ومبدع متفرد

مسابقة مفتوحة !! مُحررة من كل القيود ، لا تتقيد بفكر أو تَوَجُّه ما ، لا تتقيد بسن ، الهدف منها تقديم المبدعين الحقيقيين للساحة الأدبية – حلم طالما حلمنا به – وتحقق بفضل الله ، لما انطلقت الدورة الأولى لمسابقة شاعر النيل والفرات العربية فى أول سبتمبر 2017 فى كل أفرع الإبداع واليوم نواصل المسيرة بانطلاق الدورة الثانية مارس 2018 وفوز ثمانية وعشرين مبدعا بلقب شاعر / أديب النيل والفرات

تفخر وتتشرف دار النيل والفرات للنشر والتوزيع أن تفى بوعودها بطباعة وتقديم عشرة كتب للمكتبة العربية ، وهى الفائزة بالمركزين الأول والأول مكرر فى كل أفرع الإبداع ، نكاد نجزم أنها الأفضل على الإطلاق لشعراء وأدباء لهم رؤى ومنهج ، وبعد تقييم من لجنة تحكيم موقرة على مستوى عال فألف ألف مبروك للساحة الثقافية والمشهد الإبداعى هؤلاء النجوم أصحاب التاريخ والفكر الهادف الجاد

ناجى عبد المنعم

رئيس مجلس إدارة

دار النيل والفرات للنشر والتوزيع

إهـــــداء

إلى بندورا ..

إلى الوفاء والإخلاص بكل معانيهما ..

أهدي حواديتي التي أرجو أن تنال رضاكم ..

(المؤلفة)

القصة الأولى

(1)

بندورا

قال الراوي (الذي لا نعرف في أي زمان أو مكان كان) : بندورا سيدة منحت كل شيء .. بجوار الماء عاشت منذ صغرها .. في مكان شبه موحش .. وكأنها خلقت من تراب وماء ..

كل من رآها أو عرفها أكد على أنها منحت بفضل الله العديد من المزايا مثل : حب القراءة والاطلاع ، والجمال الرباني الطبيعي ، وفن الإقناع ، وعشق الموسيقى الهادئة الرومانسية..

وأضاف الراوي : أن بندورا كان لها صندوق معها دائما ، تضعه تحت فراشها ، وتحافظ عليه كعينيها ..

وقال البعض : إنه أهدي إليها من أحد حكماء زمن العقل والاتزان ، ذلك الزمن الذي ولى وانتهى ، بعد أن احتل الجنون والغباء عالمنا ، فرفض هذا الزمن الذي ولى العودة مرة أخرى ..

وقال : هذا الصندوق يتضمن كل شرور البشرية من : جشع ، وغرور ، وافتراء ، وحسد ، وضعف ، وكذب ، ووقاحة ، ورجاء ، ونفاق ، وخداع ، وأنانية ..

ثم أردف : إنه قد سمع من بعضهم إن بندورا معاناتها كانت كجزء من العقوبة على البشرية .. وأن العديد من الحكماء في سالف الدهر كانوا يحذرون كل الحذر ،من يهمونهم ، بعدم أخذ أي هدية مهما كانت من بندورا ، خوفًا من أن تكون هذه الهدية تحمل أعمالاً انتقامية أو عقابًا على ذنوبهم التي اقترفوها

في الماضي والحاضر ، أو سيقترفوها حتمًا في قادم الأيام ..

ولكن الذين سمعهم الراوي قالوا : إن رجلاً عاقلاً متزنًا حكيمًا تزوج بالجميلة الساحرة بندورا ..

وحكوا : إن حكيمًا من حكماء الزمن القديم أعطى بندورا هذا الصندوق المسحور ، وأمرها مشددًا ألا تفتحه مهما كانت الظروف والأحوال والملابسات ، غير أن بندورا التي يكاد يقتلها الفضول ، فتحت الصندوق ، وهنا خرجت منه كل شرور البشر لتتلبسهم أبد الآبدين ..

وهنا أسرعت بندورا محاولة إغلاق صندوقها العجيب الغريب ، ولكنها فشلت في ذلك فشلاً لا حدود له ..

قال الراوي : ولم يبق في صندوق بندورا ، الذي تطايرت أوراق منه في جميع أنحاء المعمورة الأرضية ، لم يبق من

الشرور فيه ، إلا فقدان الأمل ، والذي أكد الجميع أنه لم يصب البشر ..

ولكن حكاية بندورا هل يمكن أن تتكرر في كل عصر ومكان .. ؟ !! ..هكذا سأل الناس الراوي وهو يقص عليهم حكاية بندورا ..

وقبل أن أترككم مع بندورا ، اسمحوا لي أن أقول لها كلمة : نعلم جيدًا أنك دومًا ما تشقينا بعشقك الأبدي ..

ورغم كل شيء نظل نعشقك ..

لذلك أحاول أن أكتب روايتك التي قالوا عن سطورها : إنها من النور والنار .. !!

(2)

الجوع كافر

قالوا إن صيادًا: اسمه (نور الدين) ، استيقظ من نومه قبل شروق الشمس ، في زمن كان للشروق معنى وقيمة ووجود ... قام الصياد وجلس أمام كوخه الصغير الذي بناه من القصب في بقعة قريبة من البحر ... بعيدًا عن العمران ... حيث كان يرى أن الاختلاط بالناس لا يجلب إلا الهم والغم والكرب العظيم

أسند الصياد رأسه إلى يده ... مسلمًا نفسه للوساوس والأفكار ... وبعد لحظة قدم إليه أخوه الصغير يبكي ويتألم ، لشدة ما ناله من الجوع ، فأجلسه بجواره ، وقال له :

ـ سأذهب الساعة يا أخي إلى البحر ، وأصطاد لك سمكة كبيرة كي نشويها ونتغذى بها ..

وفي هذه اللحظة ، أقبلت الزوجة الجميلة الشابة والتي تدعى (بندورا) ، والتي قيل أنها كانت تحب الكلمات الشاعرة ، وتعشق القراءة والاطلاع ، وتحب الموسيقى الجميلة الراقية ، وكان لديها نايًا صغيرًا تعزف عليه أجمل وأشجى الألحان ..

أتت بندورا وبيدها لقمة خبز جافة عثرت عليها في فتحة من فتحات الكوخ ، فاختطفها الطفل ، وأخذ يلتهمها التهامًا ..

وهنا اغرورقت عينا الصياد نور الدين بالدموع ألمًا وحزنًا ، لمنظر أخيه الذي يبعث في النفس الحزن والحسرة ..

فاقتربت منه زوجته بندورا ، وقالت له :

ـ لا تحزن يا زوجي الحبيب ، فإن الله الذي أوجدنا من العدم ، وأعطى هذه الكائنات الحياة ، قادر أن يهب لنا رزقًا واسعًا ، وفضلاً كبيرًا .

. وأشارت إلى جدار الكوخ القديم المعلق عليه لوحة قديمة كتبت بخط النسخ القديم ، كانت قد نسختها عند خطاط في البلدة التي يعيشون فيها ، بعد أن رأتها وحفظتها حيث كانت معلقة على جدار غرفة الشيخ التي كانت تتعلم عنده :

" للعارف نور ونار ، نار الخشية ، ونور المعرفة ، فظاهره محترق بنار الخشية ، وباطنه منور بنور المعرفة ، فالدنيا تبكي بعين الفناء عليه ، والآخرة تضحك بسن البقاء إليه ، فكيف يقدر الشيطان أن يدنو منه ظاهراً وباطناً إلا كالبرق الخاطف أو كالريح العاصف :

فإن أتاه عارض من قبل العين ، أحرقته نار ا

وأن أتاه من قبل النفس ، أحرقته نار الخدمة

وإن أتاه من قبل العقل أحرقته نار الفكرة

وإن أتاه من قبل القلب ، أحرقته نار الشوق والمحبة

وإن أتاه من قبل السر ، أحرقته نار القرب والمشاهدة فتارة يحرق قلبه بنار الخشية . وتارة يتشفى بنور المعرفة .

فإذا امتزجت نار الخشية ونور المعرفة ، هاجت ريح اللطف من سرادقات الأنس والقربة ، فيظهر صفاء الحق للعبد ، فتراها تلاشت الأنانية ، وبقيت الإلوهية كما هو في الأزل. "

فقال لها :

. نعم أقرأها كل يوم يا (بندورا) ولكن كيف لنا هذا ، ونحن لا نملك من متاع الدنيا ما يسد رمقنا وجوعنا ؟ ..لعن الله الجوع في كل كتاب .. ليس هناك لهذا الملعون المسمى بالفقر مثيلفي الكفر ... !!

فأجابته الزوجة بصوت ينم عن إيمان صادق ، واعتزاز بقدرة الخالق :

. إن الله جل شأنه أرأف بنا من أن يتركنا نهبًا لتقلبات الزمان ، ونكبات الأيام ، فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ، وقم ، واسع في الأرض طلبًا للرزق الحلال ، واعتمد على الله خالقك ..

. قال الزوج :

. نعم ، قد نكون فقراء ، ولكن الحب والمودة والرحمة يحيطون بنا في كل لحظة من لحظات حياتنا ، والعاقل يا زوجي الحبيب من عرف أن نعم الله عديدة لا تعد ولا تحصى ، فيما حولنا وفي داخلنا ، المهم أن نعيها ونعرفها ونشكر الله عليها حق الشكر ، ليزيدنا منها .

قال الزوج :

. صدقتي يا بندورا .. حمدًا لله على كل شيء ...

ثم قام (نور الدين) الزوج الصياد متثاقلاً ، وحمل شبكته القديمة المتهالكة ، وسار قاصدًا البحر ، ولما بلغه ألقى شبكته ، وجلس ينتظر ما يقع فيها ، ثم وقف وشد الشبكة ، فلم يجد بها شيئًا ، أعاد الكرة مرة أخرى ، فلم يكن حظه في هذه المرة أحسن من حظه في المرة السابقة ..

وأخذ بعدئذ ينتقل من مكان إلى آخر ، ومن شاطئ إلى شاطئ ، وهو في كل حال يلقي شبكته ولا يلبث أن يخرجها خالية من كل شيء ..

(3)

الفرج بعد الضيق

مضى النهار إلا أقله ، وقد حطم اليأس الصياد المسكين نور الدين ، وخارت قواه ، ووهنت عزيمته ، وضاقت به الأرض بما رحبت ، ولكن قلبه المملوء ثقة بالله جعله يتابع عمله ، ويستمر في شغله غير عابئ بالإخفاق الذي ناله طوال يومه ، وبالخيبة المرة الخاسرة ، ومعها سوء الحظ الذي كان يلازمه أغلب أيام العمر الذي يمضي قطارها بسرعة مواكيك الفضاء ...

ولما قربت الشمس من المغيب ، وبدأت تودع هذا العالم لتتوارى قاصدة شطر عالم آخر هم الصياد بالرجوع إلى منزله ، ولكنه تذكر أن هناك من ينتظر عودته ، وقد اشتد به الجوع ، فعز عليه أن يرجع إلى منزله صفر اليدين ، خاوي الجراب ، فارغ الجعبة ، فألقى شبكته للمرة الأخيرة ، وبعد هنيهة أخرجها ،

فوجد بها سمكة ذهبية غريبة الشكل ، لم ير مثلها من قبل ، عبر رحلته الطويلة مع مهنة الصيد .

فوقف في مكانه صامتًا لا يتحرك ، ينظر إليها نظرة ملؤها الحيرة والعجب ...

فقالت له السمكة :

ـ لا تعجب أيها الصياد ، أعلم أنك رجل طيب القلب ، طاهر السريرة ، عف الضمير ، وستكون سعيدًا لو أنصت إلى حديثي ، وسمعت نصحي ..

قال الصياد :

ـ ما حديثك وما نصحك ؟

ـ قالت السمكة :

. ألقني أيها الصياد في البحر مرة أخرى ، وسأمنحك قصرًا جميلاً مكان كوخك الصغير ..

فقال لها (والحزن يملأ قلبه) :

. وما فائدة القصر إذا لم أجد فيه لقمة آكلها ، أو طعامًا أقتات به ، أو مالاً أستعين به على الحياة وبأسائها وقسوتها و ضنك أيامها ؟ !

. قالت له :

. هناك ستجد في قصرك كل ما تحتاج إليه من طعام شهي ، وشراب غذي ، وفراش وثير ، ومال كثير ، فعش أنت وزوجتك الطيبة وأخوك مهنئين سعداء ...

وأضافت السمكة قائلة :

ـ لكني أشترط عليك أيها الصياد الطيب ، شرطًا واحدًا ، هو : ألا تخبر أحدًا ، مهما تكن صلته بك بما حدث بيننا ، ولا تقص عليه قصتك هذه ، وستظل تنعم بهذه الحياة ما دمت محافظًا على هذا السر ، فإن أفشيته عدت ورجعت إلى حالتك الأولى الحالكة في أقرب من طرفة عين ..

فقال لها الصياد (وقد تهلل وجهه بشرًا وسرورًا) :

ـ سأكون لأمرك مطيعًا ، ولرغبتك منفذًا ، وسأحفظ هذا السر بين طيات قلبي مدة حياتي ...

وما كان من الصياد نور الدين ، إلا أن ألقاها في البحر ، وانصرف إلى حال سبيله .

(4)

قصر الأحلام

سار الصياد في طريقه إلى الكوخ ، وهو بين عاملين : عامل اليأس ، وعامل الرجاء ، وكان بوده أن يطوي الأرض طيًا ليصل إلى منزله في أسرع وقت ممكن ، كي يرى بعينيه هذه الأماني العذاب التي لم تخطر له على بال .

وما كان أشد دهشته حين رأى من بعد نورًا متلألئًا يملأ الفضاء جمالاً ، ثم أبصر بعدئذ قصرًا بديع المنظر ، حوله سور من حديد ، تحيط به أشجار الياسمين ، وتنشر في الجو أريجها الذكي ، فيعطر الهواء ...

دخل باب القصر ، فشاهد حديقة مرتفعة ، قد تناولتها يد بستاني ماهر محترف ، فنسقتها تنسيقًا بديعًا ، وقد فرشت

أرضها بالخضرة اليانعة ، وغرست بها أحواض الزهر والرياحين ، ورصفت طرقها بالحصى الملون ، وأنشئت بها بحيرة كبيرة يسبح بها سمك صغير ذو ألوان مختلفة ...

أخذ يسير في الحديقة ، وقد زينت بالأنوار المتلألئة حتى رأى سلمًا رخاميًا ، وقد أقيم على جانبيه تمثالان ، يمثل كل منهما فتاة حسناء ، بيدها مشعل مضيء ، صعد في السلم حتى بلغ نهايته ، فرأى بابًا خشبيًا مطعمًا بالعاج ، وقد رسمت فوقه صورة نسر جميل محلق في الفضاء...

دق جرس الباب ، فخرجت منه خادمة ترتدي ملابس بيضاء ، وعندما رأته أحنت رأسها أمامه مرحبة به ، ثم أشارت إليه بالدخول ، ولم يكد يدخل من الباب حتى رأى صالة فسيحة الأرجاء ، وقد فرشت بأفخر الأثاث ، وعلى أرضها سجاجيد عجمية فاخرة ، وزينت سقفها ، وأنيرت جوانبها بالمصابيح المتعددة الأشكال والألوان ...

ثم التفت نور الدين صاحبنا الصياد عن يمينه ، فرأى حجرة مفتوحة الأبواب ، تقدم نحوها فشاهد بداخلها سريرًا مطليًا بالذهب ، قد فرش بالحرير الأخضر ، وأرخيت عليه ستائر موشاة بخيوط الذهب ، وقد شاهد فوق السرير سيدة تغط في نومها ، ولما اقترب منها وجدها زوجته (بندورا) ، صاحبة الكوخ ، وقد ارتدت ملابس فاخرة ، وزين صدرها بعقد من الياقوت ، وألبست تاجًا بديعًا مرصعًا بالجواهر ..

ناداها نور الدين :

ـ بندورا .. بندورا .. زوجتي العزيزة ..

ففتحت عينيها ، وسرعان ما بهرها هذا المنظر الغريب ، وظنت أنها في عالم الأحلام ، فأسلمت نفسها إليه ، ونامت مرة أخرى ، لعلها تجد في هذه الأحلام سلوة وعزاء عن الواقع المرير ، وراحت تغط مرة أخرى في نومها .

(5)

هل أنا بندورا زوجة نور الدين؟ !

ولكن الصياد نور الدين (وقد أدهشه ما رآه ، وأذهله ما صار فيه من خير كثير)

ناداها مرة أخرى :

. بندورا .. بندورا ..

وأخذ بيدها ، وما إن انتهت من نومها حتى وقفت أمام المرآة : لتعرف أهي . حقيقة . امرأة الصياد ؟ !

عجبت بندورا من هذه الحال التي أصبحت فيها هي وزوجها ، ويبهرها جمال القصر ، ودقة نظامه ، وحسن فرشه وأثاثه ، وأدهشتها تلك الملابس الفاخرة التي ترتديها ، وهاتيك اللآليء والجواهر التي أصبحت ملكًا لها ..

ثم سارت وبجانبها زوجها ، وأخذا يطوفان بحجر القصر وجميع أرجائه ..

ولما انتهيا إلى حجرة الطعام ، وجدا مائدة فاخرة عظيمة ، قد جمعت كل أصناف الأطعمة الشهية ، في أطباق من ذهب وفضة ، وقد زادهما دهشة أن رأيا أخا الصياد جالسًا على كرسي أمام المائدة ينتظر قدومهما ...

وعندئذ تذكرت أنها لم تذق طعامًا طوال يومها ، وقد كانت ترقب وتنتظر حضور زوجها ، فلما ذهب صبرها أسلمت نفسها للنوم ، فنامت ... وهي تقول :

لك الحمد حمدًا نستلذ به ذكرا .. وإن كنت لا أحصي ثناء ولا شكرا

لك الحمد حمدًا طيبًا يملأ السما .. وأقطارها والأرض والبر والبحرا

لك الحمد مقرونًا بشكرك دائمًا .. لك الحمد في الأولى لك الحمد في الأخرى ..

(6)

أين نحن ؟

جلس الثلاثة ، وأخذت الزوجة تقص على الصياد مالاقته في هذا اليوم من ألم شديد ، وبؤس وجوع قاتل ، فقال لها :

. نحمد الله ونشكر فضله ، حيث أزال عنا ما كنا فيه من بؤس وشقاء ، ولن يضيع الله أجر الصابرين ...

فقالت له :

. أين نحن الآن ؟ ! ، وما الذي أتى بنا إلى هذا المكان ؟ ! ، من ذا الذي حمله جوده وكرمه على أن يغدق علينا هذه النعم ، فيترك لنا قصره نرتع فيه كيف نشاء ؟ !

فقال :

ـ إن هذا القصر وما به ملك لنا ..

فقالت :

ـ هل تسخر مني يا نور الدين ؟

فقال لها :

ـ ما سخرت منك يومًا ، وإن كل ما يقع تحت نظرك أصبح ملكًا لك ، تتصرفين فيه كيف تشائين ، وكيف تريدين ...

فقالت :

ـ من أين لنا هذا ؟ !

فقال لها :

ـ هذه هبة من الله ، وهبها لنا جزاء صبرنا وتقوانا ..

فأجابته :

ـ ليس ذلك ببعيد على الله ، ولكنه سبحانه وتعالى جعل لكل شيء سببا ، وما كان الله ليمطر الناس ذهبًا أو فضة ! فهل لك أن تقص علي قصتك ، وتكشف لي عن مكنون صدرك ؟

فقال لها :

ـ خير لنا يا زوجتي الحبيبة أن نترك الحديث في هذا الموضوع ، ولنقم لنرى ما بهذا القصر من أموال وكنوز ... أرجوك أيتها الغالية العزيزة أن لا تفتحي صندوق الأسرار .. المعرفة قد تكون نار يحرق الجميع .. لا تسألوا عن أشياء تبدو لكم تسوءكم ...

عاش الزوجان عيشة سعيدة لا يعكر صفوها ما كانا يلاقيانه من قبل ، يحوطهما الخدم والحشم ، وقد ابتسمت لهما الحياة ، وأصبحا يرتشفان كؤوس السعادة فيها ..

ولا يفوتنا أن نذكر أن الصياد وزوجته أحضرا كبار المعلمين إلى قصرهما من المدن المجاورة من أجل أن يعلموا ويهذبوا الطفل شقيق الصياد لكي يكون من أهل العلم والصلاح ..

(7)

الإصرار على السؤال .. !!

وكانت بندورا مع رجاحة عقلها ، وذكائها ، ولباقتها ، وكياستها ، ولين جانبها ، تعيد السؤال على زوجها مرات ومرات ، وقد دفعها الفضول وحب الاستطلاع إلى معرفة السر الغامض الذي حارت في معرفة حقيقته وأصله وفصله .

وكانت كلما فاتحت زوجها في هذا الموضوع انتقل منه إلى موضوع آخر تخلصًا من الجواب ، وعبثًا حاولت معرفة أي شيء مع طول الزمن .

وكان يطلب منه أن تسمعه الموسيقى العذبة التي كانت تؤديها على نايها ..

ويقول لها :

. هذا أحسن وأفضل من فتح صندوق الأسرار ..

ولما ذهب صبرها عزمت على أن تطلب منه أن يصارحها ويعرفها مصدر تلك السعادة ، فتقدمت إليه ، وأظهرت له تلك الرغبة ، وفكرت في مفارقته إن أصر على كتمان سره عنها .

ولما يأس من صبرها لم يجد بدًا من إخبارها ، فأخذ يسرد عليها كل ما حدث بينه وبين السمكة الذهبية ، ولم يكد ينتهي من حديثه حتى زالت وبقدرة قادر تلك السعادة ، وزال القصر بما فيه ، ووجد نفسه وزوجته أمام الكوخ الصغير في ملابسهما الحقيرة الممزقة ويجانبهما شبكة الصيد ، وشقيق الصياد الصغير.

بهت الاثنان ، وكاد الصياد يجن ، أما الزوجة فقد تغير وجهها ، واصفر لونها ، واضطرب قلبها وسقطت على الأرض باكية منتحبة .

وهنا تذكرت قريبة لوالدها ، حين قالت لها ذات مرة : " حتفضلي تعبانه .. وقرفانه .. وزهقانه .. وقلقانه .. طول ما إنت عايزه تعرفي وتفهمي .. المعرفة بتحرق إللي بيدور عليها .. اشمعنا إنت إللي عايزه تعرفي وتفهمي وتتقصي كل إللي بيحصل .. يا بنتي حرام عليك نفسك .. هو فيه حد فاهم ولا عارف حاجة .. يا بنتي المعرفة زي ما هي نور بينور لينا الطريق إللي بقى ضلمه .. هي نار وعذاب وخوف وقلق .. على العموم أنت حره أنا فهمتك وذنبك على جنبك .. "

ثم تذكرت بندورا أيضًا أن هذه السيدة قالوا أنها انتقلت إلى جوار ربها ، بعد أن أصيبت بحالة من الجنون !! ..

وسألت بندوره نفسها هل أصابها مس من الجنون لأنها أرادت أن تعرف !! ؟؟

(8)

ملك الملوك إذا وهب ..!!

عاد الصياد إلى سيرته الأولى ، فكان يذهب كل يوم إلى البحر حاملاً شبكته القديمة وسلته المرقعة ، فيصطاد منه ما شاء الله من سمك ، ثم يرجع إلى زوجته ، فتشوي بعضه ليأكلا منه هما وأخيه الصغير ، ويبيع الباقي ليشتري بثمنه ما يلزمهما

ومكثوا على تلك الحالة مدة من الزمن ، وكانت الزوجة في أثنائه تذكر تلك الأيام الحلوة اللذيذة التي لبسا فيها ثياب العز والرفاهية .

وافى الصياد حظه للمرة الثانية ، فإذا هو يصطاد السمكة الذهبية ، وما إن رآها حتى كاد أن يطير فرحًا ، ثم وقف بين يديها قائلاً :

. عفوًا ومغفرة يا سيدتي ، فلقد لقيت الذل والهوان بعد إفشاء سرك .

فقالت السمكة :

. إنك لسعيد الحظ ، وقد عفوت عنك أيها الصياد ، وسأمنحك في هذه المرة مزرعة واسعة ، ممتدة الأطراف ، وسأجعلك ملكًا متوجًا على هذه المدينة التي تعيش فيها ..

ولكن أحذرك أن يسحرك كرسي العرش اللعين فتدعوك نفسك الأمارة بالسوء ، أن تحكم الناس بالظلم والقسوة والجبروت

احكم بين الناس بالعدل والإحسان ، وانشر بينهم قيم الحق والخير والجمال والتسامح ، علمهم العلوم المفيدة النافعة لهم ولأمتهم ، وثقفهم حتى يتعلموا احترام الآخر وقبول الرأي والرأي الآخر ..

أرفق بهم ، ووفر لهم المأكل والمشرب والمسكن والحرفة المناسبة والأمن والأمان وحرية التعبير عن الرأي ، كن معهم دائمًا ولا تجلس في برج عاجي بعيدًا عنهم ..

احذر الأغنياء فإن معظمهم أغبياء لا يبغون إلا صالحهم ، وقرب الفقراء إليك فهم أحباب الله الذين أمرنا بدعمهم ومساعدتهم والوقوف بجوارهم ، فنسعد كل السعادة ، وابعد عنك أهل النفاق والرياء وحملة المباخر ،و أدعياء الثقافة الذين يقولون ولا يفعلون ، وفي كل واد يهيمون ، يدعون إفكًا وبهتانًا ، أنهم النخبة الصالحة والواقع يقول : إنهم سبب خراب الأمم ، وهم أعدى أعدائك إذا لم تنتبه لمكرهم وخبثهم ، فسوف يصنعون منك فرعونًا جديدًا ثم يقذفون بك أسفل سافلين ...

وتأكد أنهم دائمًا وأبدًا في كل زمان ومكان ، يأكلون على كل الموائد ، وكل ما يبغونه الوصول إلى مآربهم الخاصة حتى لو اتخذوا جثتك معبرًا لها ...

استفد من تجاريك ، وقرب أهل العلم والفكر و الرأي الصائب ، واجعل الأيام خير معلم لك بالحكمة والموعظة الحسنة

ألم تسمع عن بلاد (الفريكيكو) التي تأكل ملوكها وتهينهم أشر إهانة بغير حق أو جريرة ، بل أنها بغباء منقطع النظير تحذف بجرة قلم أكثر من ثلاثة عقود من تاريخها ، والذي يوافق على ذلك من يدعون أنهم علماء وأفاضل ... وأذكرك أن التاريخ لا يموت ولا يقبل التزييف ، فلنتركه للأجيال القادمة حتى تحكم عليه الحكم الصحيح ..

وأيضًا أنت تعرف ما حدث في نفس البلاد من أحداث قالوا عنها : إنها ثورة ، والواقع أنها عورة ، قادها عملاء على استعداد لبيع الضمير و العرض والأرض مقابل حفنة من الأموال النجسة ، الثورة يا صاحبي يكون لها أفكار تحركها ، وقيم ومبادئ وأخلاق تكون بها أهدافها السامية من أجل واقع أفضل للناس ..

لعن الله من باع بلاده أو عرضها للأخطار ، أو عاد بها إلى الوراء ..وأنت تعرف أيضا الصراع الذي جرى في بلاد الهيكو هيكو بين الانكشارية وتجار الدين حول نصيب كل منهما على كعكة السلطة الملعونة في كل كتاب ، والضحية دوما الفقراء والمساكين الذين لا ناقة لهم ولا جمل ، والعجيب أن الكل يدعي كذبا إنه يتحدث باسمهم ويسعى لخيرهم

ولكن إياك .. إياك .. وإفشاء السر !! .

(9)

الفرصة الثانية

طأطأ الصياد نور الدين رأسه أمام السمكة الذهبية إجلالاً لها ، وتقديرًا لعطفها ، وإذعانًا لرغبتها ، ثم ألقاها في البحر آمنة مطمئنة ، ورجع إلى كوخه ، فإذ هو يرى مكانه مزرعة كبيرة بها الخيل ، والأنعام ، والإبل ، وقد نبتت فيها جميع الحبوب والفاكهة التي تجود زراعتها في هذه الجهة ، وإذا زوجته بندورا وسط حديقة مملوءة بالثمار الطيبة ، والفواكه اللذيذة الشهية .

حمد الله أن أعاد إليه نعمته ، وبعد مضي ثلاثة أيام بالتمام والكمال ، أعلن منادي المدينة أن ملك المدينة صعد إلى رحاب الله ، فنودي بالصياد ملكًا عليها ، ودقت الطبول ، وعزفت

الموسيقى ، ورفعت الأعلام والرايات فوق البيوت والمنازل ، وأقيمت الزينات في كل أنحاء المدينة ، فرحًا بذلك الملك الجديد .

ألبس الملك تاج البلاد ، وجلس على عرشها ، وأصبح هو والملكة يحكمان بين الرعية ، ويدبران أمرها ، يخضع لهما الصغير والكبير ، وينقاد لأمرهما الناس جميعًا على اختلاف طبقاتهم ، ومع ما لقيت الملكة من عز ومنزلة ، كانت قلقة تفكر ليل نهار في مصدر هذه الثروة وذلك العز الميمون ، ومن ذا الذي وهب لهما هذه المزرعة الكبيرة ، وذلك الملك العظيم ، وكثيرًا ما كانت تحاول مكاشفة زوجها في ذلك الأمر ، ولكنها سرعان ما تتراجع خوفًا منه وإشفاقًا .

مضت السنون ، وهما في رغد من العيش ، غير أن الملكة بندورا لم يهدأ لها بال ، ولم تطمئن لها نفس ، لأنها لم تعرف مصدر هذه السعادة .

وذات يوم وفي لحظة صفاء رجته أن يطلعها على ما كان من أمره ، فأجابها وهو في أشد الغضب والضيق والضجر :

ـ وماذا يهمك من معرفة ما حدث ..؟ !!

فقالت له (والدمع يسيل على خديها) :

ـ وما فائدة الحياة الزوجية إن لم أكن موضع سرك ؟

وأخذت الزوجة في وقت صفاء تلح عليه أشد الإلحاح ، وتوسلت إليه بكل عزيز وغال ، وعبثًا حاول الزوج إقناعها بالعدول عن رأيها ، لأنها ما كانت تزداد إلا تمسكًا به ، فرق لها قلبه ، ولم يرى بدًا من مكاشفتها بالسر .

(10)

خيبة ثم فرصة ذهبية

ولم يكد ينتهي من حديثه حتى وجد نفسه بجانبها داخل الكوخ ، وقد زال ملكه ، وذهب سلطانه ، وضاعت سطوته ، وعاد إلى حياته الأولى ، حياة البؤس والفقر والشقاء .

صاح الصياد :

- يا للخيبة المرة الخاسرة .. !!!

وأسقط في يده ، ووقع على الأرض مغميا عليه ، ولما أفاق قام من مكانه وبيده شبكته ، قاصدًا البحر ، وقد فقد كل أمل في الحياة ...

ولم يكد الصياد يلقي بشبكته في الماء حتى أخرجها وبداخلها السمكة الذهبية .. وبادرته بالكلام قائلة :

ـ أيها الصياد قد خبرتك فوجدتك لا تستطيع كتمان سرك ، وتلك صفة كانت سببًا في هدم أمالك ، وزوال نعمائك ، ولو أنك كتمت سرك ، وحافظت على عهدك لعشت هنيئًا سعيدًا ، تحنو لك الرؤوس ، وتنقاد النفوس ...

ـ أيها الصياد : خذني إلى منزلك ، وقطعني ست قطع متساوية ، ثم أعط زوجتك قطعتين لتأكلهما ، وقدم إلى فرس ستجدها مربوطة بجوار منزلك قطعتين ، وادفن القطعتين الباقيتين تحت التراب في أرض خصبة ، ولا تسألني عن السبب ، ولا تخاطبني بعد ذلك أبدا .

فأخذها الصياد ، وفعل كما أمرته ، وبعد بضعة أشهر ولدت زوجته طفلين ذهبيين ، وأنجبت فرسه مهرين ذهبيين ، وفي الوقت نفسه ظهرت زنبقتان من الزهر الجميل .

وتمر الأيام ويشب الطفلان ، ويكبر المهران ، وتينع الزنبقتان .

وفي يوم من الأيام تقدم الابنان إلى أبيهما ، وطلبا منه أن يأذن لهما بالقيام إلى مدينة بديعة سمعا بها تسمى مدينة (السحر) ، وفي استطاعت من يذهب إليها أن يتعلم فنون السحر كلها ، ويكون ساحرًا عظيمًا .

وأكد الابنان على أن كلاً منهما قد اشتاقت نفسه إلى رؤية هذه المدينة العجيبة الغريبة التي يتحدث عنها الناس في أرجاء البلاد ، وقالا إنهما يريدان السفر إلى المدينة وكل واحد منهما يركب مهره الذهبي .

فقال لهما أبوهما (وكان قد وهن العظم منه واشتعل الرأس شيبًا وقوس الدهر ظهره بعد أن خارت قواه) :

ـ وهل أستطيع صبرًا على فراقكما ؟ !

فقالا له :

. لن نمكث مدة طويلة في هذه الرحلة يا أبتاه .

فأجابهما (والدمع يترقرق في عينيه) :

. أخشى وأخاف أن يصيبكما ضرر في الطريق ، ولا أعلم عنكما شيئًا .. !!

فقالا له :

. هدئ من روعك أيها الأب الحبيب ، ولا تشغل نفسك ، فإن هاتين الزنبقتين رمز حياتنا ، وستبقيان في الحقل يانعتين ما دمنا سليمين ، فإن ذبلتا عرفت أننا مريضان ، وإن جفتا أيقنت أننا ميتان ، فانظر إليهما كلما أردت معرفة أخبارنا .

فما كان منهما إلا عانقاه وانصرفا إلى حال سبيلهما و هو يبكي وينتحب حزنًا وخوفًا عليهما ..

(11)

السكان يتعجبون

سارا الابنان في الطريق ، وقد ركبا كل منهما مهره الذهبي ، مخترقين الصحارى والرمال والغابات والبراري ، حتى وصلا إلى إحدى المدن المملوءة بالسكان ، ولما رأوهما ، ورأوا حصانيهما الذهبيين ، أعجبوا بهما أشد الإعجاب ، والتفوا حولهما ، ليروا هذا الخلق العجيب .

وعبثًا حاولا استمرار السير لشدة الزحام عليهما ، على أنهما لم يسلما من أن توجه إليهما ألفاظ نابية وكلمات فظة ، تألم منها الأخ الأكبر ، وكاد أن يشتبك مع الناس أكثر من مرة لولا أنه تملك زمام أمره .

وبعد جهد وعناء شديدين اخترقا هذه المدينة المزدحمة ، فعزم الأخ الأكبر على الرجوع إلى والده خوفًا من الأخطار والخاطر ، أما الآخر فاستمر في سفره ، غير عابئ بالصعاب والأخطار التي ستعترضه في طريقه المجهول ، واعتمد على أنه يمتلك القدرة التي بها يتمكن من تذليل كل الصعاب التي ستلاقيه ، لأنه كما يرى في نفسه شجاعًا زكيًا ، رابط الجأش ، قوي العزيمة ..

سار الأخ الأصغر في طريقه مخترقًا الأودية والجبال ، حتى رأى أمامه غابة ملتفة الأغصان ، مترامية الأطراف ، كثيفة الشجر ، ولم يقترب منها حتى أقبل عليه كثير من الساكنين قرب الغابة ، وقالوا له :

ـ يا بني إنك لا تزال فتى حديث السن ، وفي نضارة الشباب ، وإن اختراقك هذه الغابة فيه أشد الضرر عليك ، وخير لك ألا تدخلها ، وأن تعود وترجع من حيث أتيت بسلامة الله .

فقال لهم :

ـ وما الذي بهذه الغابة يخشى بأسه ، وتخاف سطوته وقوته ؟

فقالوا :

ـ إن بها لصوصًا ألفوا الإجرام ، واعتادوا سفك الدماء ، فإن رأوك طمعوا فيك وفي حصانك الذهبي ، وانقضوا عليك انقضاض الأسد على فريسته .

(12)

جلد الدب يواجه اللصوص

ولم يتأثر الفتى بهذا الكلام ، ولم يثنه عن عزيمته ، لأنه كما يقول عن نفسه دائمًا :

- أنا مفطور على الشجاعة ، أنا قوي الإرادة ، أنا رابط الجأش ، لا أخشى إلا خالقي الأعظم .

فسار في طريقه مخترقًا الغابة ، وهنا أخذ يفكر ويفكر في الطريقة التي ينجو بها هو وفرسه الذهبي من هؤلاء اللصوص الأوغاد لو أقبلوا نحوه ، وأرادوا الفتك به .

هداه تفكيره إلى أن يصطاد دبين ، فنزل عن حصانه الذهبي ، وسار مستخفيًا حتى استطاع أن يصطاد ما أراد ..

وبعد أن قتل الدبين سلخ عنهما جلديهما ، ورجع إلى حصانه ، فلبس جلدًا ، وغطى حصانه بجلد ، كي يضلل اللصوص فلا يجد فيه ولا في فرسه مطمعًا ..

ثم ركب الحصان وسار في طريقه ، وبينما هو كذلك إذ سمع تهامس اللصوص منبعثًا من بين أغصان أشجار الغابة ، وقد أنصت إلى حديثهم وهمسهم ، فسمعهم يقولون :

ـ هذا رجل مقبل علينا ..

فأجابهم رئيسهم :

ـ ذاك رجل مسكين حرفته صيد الدببة ، وهو بلا شك فقير بائس، وما الذي سنستفيده من رجل لا يملك إلا جلد دب أو دبين ؟ ! ..دعوه لحاله ...

كل ذلك والفتى سائر في طريقه ، وقد اطمأن قلبه ، وهدأ اضطرابه .

ولم يكد يقترب منهم حتى حياهم أحسن تحية ، وأحنى رأسه أمامهم ، فأعجبوا بأدبه وشجاعته ، وقالوا له بصوت واحد :

ـ سر يا بني ، ولا تخشى أحدًا ، ولا تخف ، وإن احتجت إلى معونة فنحن في نجدتك .

شكر لهم الفتى هذا المعروف ، ثم سار في طريقه مخترقًا الغابة ، وبعد أن انتهى منها وجد أمامه قصرًا بديعًا ، أمام القصر شجرة مورقة ، ممتدة الأغصان ، وارفة الظلال ..

نزل الفتى ليستريح ، وقد خلع جلد الدب ، وافترش قطعة قماش كانت معه ، وجلس تحت ظل هذه الشجرة ليستريح ..

وبعدئذ شاهد غزالاً معجبًا بنفسه ، فأمتطى حصانه ، ثم جرى خلفه ليلحق به ، وظل يتبعه حتى قربت الشمس من المغيب ..

ثم –اختفى من الفتى فلم يدركه ..

(13)

الكلب هو السبب ..!!

نظر الفتى حوله ، فرأى مدينة عجيبة غريبة المنظر ، ظهرت أمامه فجأة كأنها طلسم لا يمكن معرفته ..

ورأى في صدر هذه المدينة كوخًا صغيرًا قد جلست أمامه امرأة عجوز شاب رأسها ، وتجعد وجهها ، وظهرت علامات الشيخوخة على جسمها ..

فلما رأته العجوز قالت له :

ـ ماذا أنت فاعل هنا يا هذا ؟ ! .. وما الذي أتى بك إلى ذلك المكان ؟! ..

فقال لها الفتى :

ـ هل رأيت غزالاً بالقرب من هذا الدار يا سيدتي ؟! ..

فقالت له (في تهكم) :

ـ نعم رأيت الغزال وأعرفه جيدًا ، وأنا التي بعثته إليك ليقودك إلينا ، لنعلم السبب الذي دعاك إلى البحث عنا ، والتنقيب عن مدينتنا الآمنة التي لا يأتي إليها أي غريب عنها ..

وعندئذ أيقن الفتى أن هذه المدينة هي مدينة السحر ، وأنه وقع في الشرك ، وسبحان الذي بيده النجاة ..

وفي هذه اللحظة انقض عليه كلب ضخم أسود اللون ، وهو ينبح نباحًا شديدًا ، فدفعه الغرور بنفسه إلى أن استل سيفه وأرداه قتيلاً على الفور ..

فثارت ثائرة العجوز ، وظهرت عليها علامات الحنق والغضب ، ثم رفعت يدها إلى أعلى ، وتمتمت بكلمات مبهمة ،

ولم تنتهي منها حتى صار الفتى قطعة حجر ملقاة على الأرض لا حراك بها ..

(14)

زنبقة تذبل..

في ذلك الوقت كان الابن الأكبر قد رجع إلى بيت أبيه نور الدين الصياد ، فاطمأن قلب الوالد قليلاً ، وهدأت ثائرة الأم بندورا ، وكادت تطفئ نيران شوقها ، إذ كان لهما خير عزاء وسلوى ..

أخذ هذا الأخ يتعهد الزنبقتين الذهبيتين ، ويسقيهما مع كل مساء ، وذات يوم لاحظ أن إحداهما ذبلت أوراقها ، وذوى غصنها ، فذعر وخاف ، واستولى عليه الجزع ، وعلم أن أخاه لا بد أن يكون قد أصابه سوء وشر ..

أقبل الليل ، فأوى الأخ إلى فراشه وهو حزين ، يتملكه الهم والغم والنكد ، فرأى في منامه أن أخاه الأصغر قد وصل إلى

مدينة السحر الغريبة ، وهناك سحرته عجوز شمطاء ، ولا يزال رهن إشارتها ..

فقام من نومه مذعورًا مضطربًا ، وعزم عزمًا أكيدًا على السفر ليبحث عن أخيه ، ثم ذهب إلى والده ليستأذنه في السفر

الوالد تردد أولاً خوفًا عليه، ولكن عندما رأى منه إصرارًا على عزمه أذن له ، وقلبه مملوء بالحزن والأسى، ولكنه دعا له بالسلامة والخير والتوفيق ..

ثم ركب الفتى حصانه الذهبي ، وسار متتبعًا أثر أخيه الأصغر المفقود ...

وبعد مسيرة أيام سبعة وجد فيها ما وجد من صعاب وآلام ما بعدها آلام ، رأى من بعد (وقد أرخى الليل ستائره) ، ضوءًا خافتًا ضعيفًا ، يظهر نوره تارة ويختفي أخرى ، في كوخ صغير حقير ..

تقدم الأخ الأكبر نحو الضوء ، فشاهد شيخًا طويل اللحية ، أبيض الوجه ، ناصع الثياب ، وقد جلس أمام محرابه يعبد ربه تضرعًا وخشية ، فاطمأن قلبه لرؤيته ، وذهب إليه وحياه بأدب وتبجيل، واحترام وتقدير ..

فما كان من الشيخ إلا أن أجلسه إلى جانبه ، ودعا له بطعام فأكل وشرب ، ثم قال له :

ـ ما خطبك يا بني ؟ وما الذي أتى بك إلى هذا المكان الموحش ؟

فنظر إليه الفتى و الدمع يسيل على خديه ، ثم انحنى على يده فقبلها ، وأخذ يقص عليه وقائع قصة أخيه ، وما كان من أمره ، وبين له حزن أبيه ، وجذع أمه عليه ..

(15)

شيخ طيب ..

فأطرق الشيخ الطيب برأسه إلى الأرض قليلاً ، ثم نظر إليه ، وقال له :

ـ يا بني كن ضيفنا هذه الليلة ، فإذا أقبل الصباح قضينا حاجتك بعون الواحد الأحد ..

بات الفتى هذه الليلة وهو يفكر ويفكر في أمر أخيه الأصغر ، لا يغتمض له جفن ، أو ترقأ له عين ...

فلما أشرقت الشمس بأمر ربها ، وقام الناس يقولون : يا فتاح يا عليم .. يا رزاق يا كريم .. اكفنا شر النهار وما يتأتى فيه ... هنا ناداه الشيخ الطيب ، وقال له :

ـ سر يا ولدي في هذا الطريق ، فإذا ما بلغت نهايته ، رأيت جبلاً مرتفعًا فاصعد فيه .. وعندئذ ستشاهد واديًا متسعًا .. أشجاره دانية القطوف ..

وطريق به أزهار يانعة ، وطيور مغردة آمنة ، وترابه ذهب خالص ، وحصواته ياقوت ومرجان..

سر يا ولدي بين أشجاره ، واحذر كل الحذر أن تلتفت يمنة أو يسرة ، واحذر يا ولدي أن تؤذي حيوانًا ، أو تصطاد طائرًا ، أو تهين إنسانًا ..

ثم أعطاه الشيخ الطيب خاتمًا ، وقال له :

ـ إذا وصلت إلى ذلك القصر ، فقف أمامه ، واضغط على هذا الخاتم الذي أعطيتك إياه ، يخرج لك في الحال خادم يقود جوادًا عليه سرج مذهب ..

عندئذ يا بني سلمه جوادك ، واركب الحصان ، واتركه يسير والخادم وراءك ، وسيوصلك بحول الله وعونه إلى هدفك المراد ، فإذا بلغت القصر فستجد الجميع منقادين لأمرك ..

قبل الفتى يد الشيخ الطيب تقديرًا له ، وإعجابًا بعطفه وحنانه عليه ، ثم سار في طريقه ، وفعل كما أمره الشيخ ، ووصل إلى ذلك الوادي الكثير الأشجار ..

هنا حدثته نفسه بتناول شيء من فواكه الوادي الكثيرة والتي فوق الأشجار تسر الناظرين ، وعلى الرغم من شدة جوعه ، استمر في سيره ، حتى وصل إلى القصر ..

هنا خرج الخادم ، وركب الجواد ، ثم سار في وسط ذلك الوادي الكثير الأشجار ، وقد أعجب الفتى أشد العجب عندما رأى الناس يقفون صفوفًا على جانبي الطريق إجلالاً له ، كأنه ملك عظيم .

(16)

الوصول إلى منزل العجوز

سار به الجواد حتى وصل إلى منزل العجوز ، ولما رأته قبلت الأرض بين يديه ، مرحبة مهللة لقدومه ، وقالت في خضوع :

ـ لبيك يا سيدي .. وستجدنا عبيدًا لك ...

فقال لها (وهو في حالة استغراب وذهول) :

ـ هل رأيت فتًا صفته كذا وكذا ... ؟ !!

فقالت :

ـ نعم ، وقد سحرته ، لأنه قتل كلبي أمامي ..

فقال لها :

ـ من فضلك وإحسانك هل من الممكن أن تأتيني به ؟

فقالت له (في خضوع):

ـ السمع والطاعة سيدي الكريم ..

هنا دخلت العجوز إلى كوخها ، وخرجت ومعها أخوه الأصغر يسير وراءها ..

وما أن رأى الأخ أخاه حتى أقبل عليه مسرعًا ، وتعانقا عناقًا كله محبة وأخوة ..

هنا بدأ في الحديث عن رغبتهما في الرجوع إلى أبيهما وأمهما ، فتقدمت العجوز إلى الفتى الأكبر ، وقالت له :

ـ يا مولاي ، هذا رداء أقدمه هدية متواضعة لجلالتك ، فإن احتجت إلى أي شيء فألبسه ، وسرعان ما أكون أنا ومن معي في طلبك بإذن الله المعين على كل شيء ...

شكر لها الأخ الأكبر صنيعها ، ومعروفها ، بينما سألها الأخ الأصغر أن تصفح عنه إن كان قد أساء إليها ...

قالت له :

. ما عليك يا ولدي ، التسامح هو أجمل شيء في الحياة ، والتواضع شيمة الأكرمين ..

هنا دعتهما العجوز إلى الدخول في كوخها ، فدخلا فوجدا بداخله منزلاً جميلاً شاهق البنيان ، وباتا هذه الليلة عندها معززين مكرمين ...

(17)

العودة إلى الوطن

ومع شروق الشمس ، ودعتهما في ود وحب ، مقدمة إليهما كثيرًا من الجواهر الثمينة ، واللآلئ الجميلة ، وبعض الزاد والزواد للطريق، كما أعطتهما الرداء السحري التي وعدت به ...

رجع الاثنان إلى الشيخ الطيب ، وشكرا له عطفه ومعروفه عليهما ، وعلما منه أن هذه العجوز زوجته ، ثم أخذ الخاتم من الأخ الأكبر ، وأعطى الأخ الأصغر بساطًا صغيرًا و قال له :

ـ احتفظ يا ولدي بهذا البساط ، فإن فاجأك أحد في سيرك ، وخفت منه فابسطه على الأرض ، واجلس عليه يوصلك إلى بلدك الذي تريد السفر إليه بعناية الله القادر على كل شيء ..

خرجا الأخان من عند الشيخ الطيب ، وركبا كل حصانه ، وسارا في الطريق يقطعان الصحارى والغابات ..

وبعد مدة وأيام طويلة صعبة وصلا بحمد الله إلى منزل أبيهما الصياد نور الدين ، فوجداه مغلقًا مقفلاً ، فطرقا الباب مرات كثيرة ، فلم يرد عليهما أحد ، واستطاع الأخ الأصغر بعد مدة طويلة أن يسمع أنينًا منبعثًا من المنزل يكاد يقطع الأكباد ..

دار الاثنان حول المنزل من كل جهة ، فلم يجدا فيه منفذًا ينفذان منه إليه لعلوه الشديد ..

وعندئذ تذكر الفتى الأصغر بساطه ، ففرشه وجلس عليه هو وأخوه ، وسرعان ما صعد بهما في الجو ثم هبط في وسط الدار ...

هنا هالهما ما شاهداه ، فقد رأيا أباهما في النزع الأخير يئن ويتألم لشدة ما ناله من الحزن والأسى على وحيديه ..

فما كان من الفتى الأكبر أن لبس رداءه السحري ، ووقتئذ وجد أمامه السيدة العجوز وأتباعها ، وقالت له :

ـ لبيك يا مولاي ..

قال لها الأخ الأكبر (في لهفة وفزع وقلق):

ـ من فضلك أيتها السيدة الكريمة أن تحاولي إحضار بعض الأطباء ليعالجوا والدي المريض هذا ..

ولم تفت عدة دقائق وسرعان ما أقبل أشهر الأطباء في البلدة ، وعالجوا المريض وقدموا له أنجع الأدوية ، ولم يمكث إلا أيامًا قليلة ، وببركة الله الشافي المعافي ، شفيى الوالد وأصبح في أحسن حال بإذن الله ..

أما الأم (بندورا) فكانت قد تركت المنزل منذ يومين لتفتش عن ولديها ، وسارت هائمة في الطرق والدروب ، وهي مرهقة أشد الإرهاق ، حزينة كل الحزن ...

ولما علم بذلك ابنها الأصغر ، جلس على بساطه السحري ، فعلا به في الجو علوًا كبيرًا .. ، حتى شاهد أمه (بندورا) ، في وسط صحراء جرداء مجدبة ، لا ماء فيها ولا نبات

وما إن رأته الأم حتى تساقطت دموعها منهمرة على خديها ، و قالت للابن الأصغر :

ـ ألا تزال يا بني حيًا ؟ !! .. حمدًا لله تعالى الذي ردك بكرمه وفضله إلينا ، والله حقًا وصدقًا أعلم بمن جاء بالهدى ، ومن هو في ضلال مبين ..

وسألته عن أخيه فأخبرها أنه بخير وسلام ، وبعون الله وفضله الذي ألهم أخي الأكبر الحكمة والتفكير السليم والتواضع العظيم ، فحررني من أسري ، وعدنا إلى بيتنا سالمين غانمين ، واطمأننا على أبي الذي شفاه الله وعافاه ..

فما كانت الأم أن ضمته إلى صدرها فرحة مطمئنة بلقائه بعد فراقه الطويل ، حامدة شاكرة المولى على فضله وكرمه ، ثم وضعها معه فوق البساط ، وذهب إلى منزله ، حيث عاش الوالدان والابنان عيشة سعيدة هانئة ..

وبالطبع عادت الأسرة كلها لتسقي الزنبقتان كل يوم ، والسعادة ترفرف عليهم جميعًا ، فمن شكر الله وأحكم عقله وأخذ بالأسباب ، نال ما تمناه .

وعرفنا من حديثهم معًا أن العم شقيق نور الدين الصياد والذي رعاه ورباه وعلمه بمساعدة الأم بندورا .. ذهب إلى المدينة وتلقى أرقى التعليم وأصبح من العلماء الصالحين .

ولكن هل أن الأوان لأن تغلق بندورا زوجة الصياد نور الدين صندوقها

تمت بحمد الله

القصة الثانية

(مظلوم) الذي قرروا أن يشنقوه ..!!

حكت لنا الجدة الطيبة في زمن الطيبة الذي ولى وأقسم على ألا يعود مرة أخرى إلى أيامنا الشريرة ، فقالت :

ـ خرج رجل يدعى (مظلوم) من منزله ذات يوم قاصدًا مقر عمله ، وبينما كان سائرًا في الطريق يقود سيارته إذ صدمت سيارته أمير من الأمراء على غير إرادته .

ولما علم حاكم البلاد بذلك ، وكان ظالمًا جبارًا ، خاصمت الرحمة قلبه منذ أن جلس على العرش ، فأصدر أوامره الصارمة الحاسمة بإحضار (مظلوم)، حيًا أو ميتًا ، وبالفعل تم القبض عليه ، ثم تم سجنه دون محاكمة ، وصدر القرار باعتباره قاتلاً مع سبق الإصرار والترصد ، وحكم عليه بالإعدام شنقًا ..

ولما جاء اليوم الموعود ، اليوم الذي سينفذ فيه حكم الإعدام ، تقدم (مظلوم) إلى الحاكم ، ودموعه تسيل على خده ، وقال له :

. يا سيدي ! ، إني لم أفعل ذنبًا استحق عليه هذا الحكم ..

فهاج الحاكم وماج و اشتعل ، وقال :

. لقد انتهى الحكم ، ولا رجوع عنه ، ولا مفر منه ..

فقال له مظلوم :

. يا سيدي ! إذا كنت ستنفذ في أمرك فلي حاجة عندك إذا سمحت ...

قال الحاكم :

. وما حاجتك أيها القاتل اللعين ؟ .

قال مظلوم :

ـ إن لي صبية صغارًا تركتهم ورائي و زوجة ، وأمًا ، وأبًا ، كلهم ينتظرون عودتي ، فلا عائل لهم بعد الله تعالى إلا شخصي الضعيف وهم لا يعلمون من أمري شيئًا ..

فهل تسمح لي يا سيدي أن أذهب إليهم ، وأودعهم ، وأوصي أهل الخير بأولادي خيرا ..

قال مظلوم ذلك ثم بكى بكاءً حارًا ، فبكى الحاضرون ، وتألموا بذلك المسكين ..

ولكن الحاكم قاسي القلب ضحك بملء فيه ، وقال له :

ـ وما الذي يضمن لي أنك ستفي بوعدك أيها المتهم القاتل ؟ ! .

فصاح الحاضرون :

اتركه يا مولانا الملك ، حتى يرى أهله وأولاده ، ثم يرجع إليك لينفذ ما حكمتم به عليه

قال الملك :

وهل منكم من يضمنه و يقدم نفسه بدلاً منه إذا لم في بوعده ؟

فتقدم شاب كريم الخلق يسمى (جلال الدين) ، وقال للملك :

أيها الحاكم ! ضعني في السجن بدلاً من هذا الشاب، واتركه يذهب إلى بلدته ليرى أهله وناه ، ويرتب حاله وأحواله ، ويودع أبناءه ، وإني أعلم أنه سيرجع في الموعد الذي تقرره له وإذا لم يحضر فسأقدم نفسي لأقتل بدلاً منه ..

تعجب الحاكم كل العجب من ذلك الشاب الذي يدعى (جلال الدين)، فكيف يخاطر بنفسه هذه المخاطرة التي ستؤدي به حتمًا شنقًا

على كل حال فقد وافق الملك على السماح لمظلوم بالذهاب لرؤية أهله قبل تنفيذ حكم الإعدام فيه ، وأصدر الحاكم أوامره على الفور بوضع (جلال الدين) في السجن المشدد بدلاً من مظلوم ..

وقد مضى الوقت ، واقترب الموعد الذي عين بتنفيذ حكم لإعدام في الشاب المسكين ، ولكنه لم يرجع ، وهنا أصدر الحاكم أوامره الصارمة المشددة ، بتشديد المراقبة على (جلال الدين) خوفًا من أن يهرب في أي وقت ...

حكى من شهد الوقائع ، إنه في اليوم المعين جلس الحاكم وأعدت المشنقة ، وأحضر الحرس (جلال الدين) الفتى الإنسان ، صاحب القلب الرحيم ..

ودخل الحراس على الملك وهم مكبلين (جلال الدين) من قدميه ويديه بالحديد ، ورغم ذلك كن ثابت القلب هادئًا |، لا يظهر عليه شيئًا من الخوف أو الفزع ..

وما أن رآه الحاكم داخلاً ، فقال له في سخرية واستهزاء :

أيها الأحمق الغبي ، لقد أتت ساعة الإعدام ، ولم يضر هذا القاتل الجبان الي ضمنته حتى الآن ..!!

فقال له (جلال الدين) بقلب ثابت :

أعتقد أيها الملك أن (مظلوم) لن يخلف وعده ، وإنه لن يؤخره عن الحضور وتسليم نفسه إلا سبب قهريًا لا دخل له فيه ...

ونادى الحاكم السجان بصوت جهوري آمرًا إياه بتنفيذ حكم الإعدام شنقًا في الشاب (جلال الدين)

وفي تلك اللحظة سمع صوت رجل من بعد ينادي بأعلى صوته ، ويقول :

- ها قد حضرت فاتركوا (جلال الدين) ولاتنفذوا فيه حكم الإعدام

فعجب الحاضرون، وأعجب الحاكم بوفاء ذلك الشاب (مظلوم) ، ثم نظر إليه وقال له:

- ما الذي حملك على الوفاء وفيه هلاكك وقتلك ؟!

- فأجاب الشاب (مظلوم) :

- إن الذي حملني على الوفاء أخلاقي التي تربيت عليها ، منذ أن وعيت الدنيا ، ووفائي لمن قدم نفسه فداءً لي ، وإخلاصي لهذا النبيل الشهم الخلوق لمن أنقذني وقت الشدة...

فقال الحاكم :

- إن أخلاقك راقية ، وتربيتك صالحة ، ووفاءك وفاء نادر ، ولكن بالله عليك أخبرني ما الذي أخرك إلى هذه اللحظة ؟ !

فقال (مظلوم) :

- حينما كنت راكبًا السفينة بعد أن ودعت أهلي ، وأوصيت أصحاب القلوب الطيبة على أبنائي ، هبت ريح شديدة ، واضطرب البحر ، وهاجت الأمواج ، وألقت بالسفينة إلى صخرة بارزة فحطمتها وكسرتها ، وغرق من فيها ، فأخذت أغالب الأمواج ، والأمواج تغالبني لأخرج سالمًا ، وأنقذ ضامني الشاب الطيب (جلال الدين) ، من حبل المشنقة ، ولما نجوت بحمد الله حضرت مسرعًا غير مكترث لما ينتظرني من موت أو قتل ، فالعمر واحد ، والرب واحد ...

ثم سكت (مظلوم) وتقدم بنفسه إلى حبل المشنقة ، بعد أن صافح صاحبه (جلال الدين) ، وشكره كل الشكر لإخلاصه ، وحياه تحية الوداع ...

ويبدو أن حاكمنا قاسي القلب ، والذي خاصمته الرحمة ، لم يحرم كل مروءة وإنسانية ، فقد أحس بخطئه وظلمه ، حيث أن كل الأدلة منعدمة تقريبًا على أن (مظلوم) صدم بسيارته ذلك الأمير الذي ينتمي إلى عائلة الحاكم عامدًا متعمدًا ...

وأهدى إلى (مظلوم) الذي لم يعد مظلومًا ، وإلى الشاب الشجاع الشهم (جلال الدين) ، هدية ثمينة ، وقربها إليه ، وجعلهما من حاشيته وخاصته ..

وقالوا : إن الشابين الطيبين كانا يعاملان الناس أحسن معاملة ، بالكلمة الطيبة ، والنهج القويم والموعظة الحسنة ، فأحبهما الناس ، واحترموهما أعظم الاحترام ..

إلا أن الحاكم كان يردد كل يوم ، بأعلى صوته :

– إني مستعد أن أعطي جائزة لا تخطر على بال أحد لمن يدلني على شخصين وفيين كهذين (مظلوم) و (جلال الدين) ...

قال الرواة : يبدو أن حاكمنا إلى يومنا هذا لم يعثر على شخصين وفيين ، أو على شخص واحد على الأقل ، فقد أعلنت السلطات في هذه البلد أن سوق الوفاء قد انتهى إلى غير رجعة ، وأصبح الوفاء سلعة نادرًا ما نراها في أيامنا الحالكة هذه ... !!

(تمت بحمد الله)

القصة الثالثة

التصدي لمؤامرة اغتيال الفعل (صدق)

حكى لنا جدنا الأكبر الذي لم أراه ، حكى حكاية نقلها لنا والد والدي ، أو والد أمي ، على كل حال لم تحدد حتى الآن شخصية الراوي العليم في هذه القصة ..

قالوا : كان إسماعيل شابًا غنيًا (ولا غني غير الله) ، حسن الحال ، طيب الطباع ، يرزقه الله الرزق الطيب ، فيحمده في كل وقت ، فيعطيه الله المزيد والمزيد ...

وكان له صديقان مخلصان عاشوا جميعًا في محبة وصفاء وإخلاص ، وإذا احتاج أحدهم إلى الآخر أسرع على الفور لمساعدته ونجدته ،...

كان إسماعيل مبذرًا مسرفًا ، لا يحرص على المال ، ولا يتقي غدر الأيام ، أخذ يبذر وينفق أكثر مما يجب بغير حساب ، حتى نفذ ماله وافتقر ، وصار في عسر بعد يسر ، وفي ضيق بعد سعة ، ولم يبق عنده ما يشتري به القوت الضروري لزوجته وأولاده ..

جلس إسماعيل يفكر ويفكر في حاله السيئة ، فقالت له زوجته :

– لقد نسيت صديقيك (جرجس) و(موسى) ، فاكتب إلى واحد منهما ، فربما يعطيك شيئًا من المال ، ننفقه على أولادنا ، و يساعدنا على ما نحن فيه من فقر وضيق ..

فلم يرض إسماعيل أن يطلب المساعدة من أحد ، وترك أمره لله تعالى ، محاولاً أن يوضح لزوجته أن الله أعلم بالعباد ، وإن كل إنسان فيه ما يكفيه ..

ولكن زوجته ألحت عليه إلحاحًا شديدًا ، حتى اضطر (إسماعيل) أن يرسل رسالة إلى صديقه (جرجس) ، فلما وصلت الرسالة إليه ، تألم أشد الألم ، وعاتب نفسه على إهماله صاحبه حتى صار فقيرًا محتاجًا ، فما كان منه إلا أن أرسل إلى (إسماعيل) كيسًا مملوءً نقودًا هي كل الثروة التي عنده ..

وتشاء الأقدار أنه في اللحظة التي تسلم فيها (إسماعيل) كيس النقود التي وصلت إليه من صديقه (جرجس) ، في نفس اللحظة تصله رسالة عاجلة ، من صديقه (موسى) ، يشكو إليه الفقر وشدة الحاجة ، فأرسل إليه الكيس بتمامه بما فيه قبل أن يفتحه ، وفضل صاحبه المحتاج على نفسه ، راضيًا مرضيًا ، مع شدة حاجته وفقره ..

وقص (إسماعيل) هذه الحكاية على زوجته ، فحزنت حزنًا شديدًا على أولادها الجياع بعد الغنى والثروة ، ولكنها أشفقت على صديق زوجها الفقير المحتاج ...

وبينما كان (إسماعيل) يحدث زوجته ، راجيًا الله تعالى أن يفرجها عليهم ، ويرزقهما الرزق الحلال ، إذ دخل عليه صديقه (جرجس) ، الذي أرسل غليه الكيس ، يحمل الكيس عينه ، ثم قال له :

- يا صديقي العزيز (إسماعيل) ! ، عندما أرسلت إلي تشكو حالك ، أرسلت إليك هذا الكيس ، وفيه كل ما ادخرته واقتصدته من مال في حياتي ، ولما اشتدت حاجتي إلى النقود أرسلت إلى صديقنا (موسى) ، فبعث لي وأرسل إلي هذا الكيس الذي تراه ..

أليس هذا هو الكيس الذي بعثته وأرسلته إليك يا (إسماعيل) ؟!

أجاب (إسماعيل) :

- نعم ، يا أخي (جرجس)! ، فإن أخي (موسى) لما أخبرني بما هو فيه من الفقر وشدة الحاجة أرسلته إليه ...

قال (جرجس) صاحب الكيس :

إذن فلنرسل إلى (موسى) هذا الصديق الكريم ، فإنه الآن يقاسي آلام الفقر والحاجة ..

فحضر (موسى) الصديق الثالث ، وكان الموقف مؤثرًا ، فقد اجتمع الأصدقاء الثلاثة وهم في شدة الإخلاص ، ثم قسموا بالعدل والقسطاس ما في الكيس ، من مال بينهم ، وعاشوا سعداء بفضل إخلاصهم وتعاونهم في وقت الشدة ..

وقال من حكى هذه الحكاية : إن الله فتح عليهم بفضله ، وأصبحوا من أهل الفضل واليسر ، جزاءًا وفاقًا لإخلاصهم ومعرفتهم لمعنى الصداقة ...

ولكن جاء زمن تم فيه القضاء تمامًا على معنى الصداقة إلى غير رجعة ، وعللوا ذلك في تقارير رسمية لم يطلع عليها أحد ، أنه طالما انتحر الصدق ، وتم قتل الإخلاص ، في جريمة

بشعة قالوا أن فاعلها مجهول ابن مجهول ، فعليه لا داعي لأن نتعجب من أن الصداقة هربت دون أن نستدل على مكانها حتى الآن ...

(تمت بحمد الله)

محتوى الكتاب